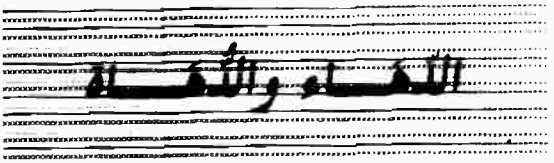

- قيمة الوعى التاريخى .
- صناعة الرجال .
- كلمة لابد منها !

قيمة الوعى التاريخى

يقول العلامة ابن خلدون فى مقدمته :

«فن التاريخ : فن عزيز المذهب ، جمّ الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا ... » .

[ابن خلدون]

▣ حسن سياسة الرسول ـ ﷺ ـ ▣

فى البدء نتحدث عن المنبع ـ عن كنز حكمة والحلم .. عن رائد المدرسة الإسلامية فسوف تظل سياسة الرسول ـ ﷺ ـ هى السياسة الأم التى نستضىء بهديها على مر الأيام .

فلقد كان الرسول ـ ﷺ ـ سياسياً حكيماً ذا رأى صائب وفكر ثاقب ، وقد تلقى أصحابه على يديه دروس الحكمة .

وقد بدت مهارته السياسية فى التأليف بين أهل المدينة ، وهم الأوس والخزرج ، كما ظهر ذلك جلياً فى تصرفاته التى كان يُصْدرها على البديهة ، ويخرج بها من أشد المآزق حرجاً .

روى ابن هشام[1] أن الرسول ـ ﷺ ـ أمر ـ عندما تفاقمت روح العصبية بين الأنصار والمهاجرين فى غزوة المريسيع[2] .. حتى قال عبد الله بن أبىّ بن سلول : لَيُخْرِجَنّ الأعزُّ منها الأذلّ ـ بالارتحال ، وسار فى وسط الظهيرة ، ولم يُرح الجيش حتى وصل إلى المدينة ، لكيلا يترك للرجال فرصة الجدال والخصام ، وهم بعيدون عن مدينتهم ، كما رفض ما عرضه عليه عمر من قتل ابن سلول رأس النفاق[3] ، وسبب تلك الفرقة ، وترفق بابنه عبد الله ، إذ طلب إليه أن يأذن له

---

(١) ج ٣ ص ١٣٥

(٢) وتسمى غزوة بنى المصطلق وقد كانت فى شعبان سنة خمس على الصحيح .

(٣) حيث قال له فى الحديث المتفق عليه «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» صحيح البخارى : كتاب التفسير ، وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة .

بقتل أبيه إذا أراد ، فقال له الرسول ـ ﷺ ـ: « **بل نترفق به ، ونُحسِنُ صحبتَه ما بقى معنا** »[1] ؛ فكان ابن أبى هذا إذا أحدث حدثاً بعد ذلك عاتبه قومه ، وعنفوه ، وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعمر بن الخطاب يوماً : كيف ترى ياعمر ! أما والله لو قتلته يوم قلت لى : اقتله ، لأرعدت له أُنُف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته .

كما ظهر ذلك أيضاً فى الانتفاع بحسن صلة «نُعيَم بن مسعود بكلّ من : قريظة ، وقريش ، وغطفان فى الإيقاع بينهم ، وتخذيل بعضهم عن بعض حتى أذن الله ، وأزال عن المدينة خطراً داهماً ، كما أشرت إلى ذلك فى المقدمة ! وانهارت كل أساليب اليهود والمنافقين أمام حكمته ـ ﷺ ـ وسار الصاحبان على نهجه من بعده ، وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ الحاكم الذى بهر الناس جميعاً فى الشرق والغرب ، ودرب الدهاة الأربعة على أساليب الإدارة والسياسة ، فكان لهم شرف معاصرته ومعاونته .

وربما تساءل السائلون :

كيف تَمَّ هذا التدريب ؟

وكيف تسنّى لأولئك الدهاة الأربعة أن يتلقوا مبادىء الحكم حتى أصبحوا حديث الدنيا ؟ !

فتعال نتابع خطاهم بحثاً عن الإجابة الشافية !!

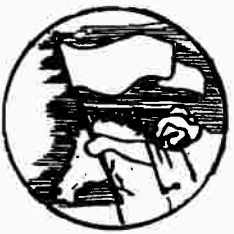

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبى بلفظ «بل نحسن صحبته ونترفق به ما صحبنا» .

▣ الدهاة الأربعة يتلقون مبادىء الحكم ▣
على يد الخليفة العادل عمر !!

لولا البعثة المحمدية ما سمعنا بعمر الذى يقترن اسمه بدولة الإسلام ، ودولة الفرس ، ودولة الروم ، فهو وليد الدعوة المحمدية .

وما أشد حاجة العُمّال والولاة والمحافظين فى عصرنا هذا إلى القدوة .. إلى المثل الذى يتَلَقَّون عنه دستور الحكم العادل ، ويحذون حذوه ، وينفذون مبادئه !

وقد عاصر الدهاة الأربعة عمر بن الخطاب ، وكانت متابعته لهم ، ورَسَائله إليهم كفيلة بتحقيق الأهداف ، والسير على منهاج عمر !، وإصلاح المسيرة إن هى انحرفت عن الطريق !

لقد مر عمر ـ رضى الله عنه ـ فى طريق ، فوجد بناء يُبنى بالحجارة والجِصّ ، فسأل : «لمن هذا ؟ فقيل له : إنها لعاملك على البحرين !»

فصاح : «الله أكبر . أبت الدنانير إلا أن تُخرْج أعناقها !! ضُمُّوا كل هذا إلى بيت المال !!» .

وهكذا كان عمر المثل والقدوة لهؤلاء الأربعة ولغيرهم فى السياسة والحكم ، والنزاهة والعدل ، وإليك البيان ..

◄ عمر ومعاوية :

١ ـ يكتب عمر بن الخطاب إلى «معاوية فيقول بعد التمهيد : الزم خمس خصال يَسْلم لك دينكَ ، وتأخذ فيه بأفضل حظِّك :

- إذا تقدّمَ إليك الخصمان ، فعليك بالبينة العادلة ، أو اليمين القاطعة .
- وأَدْنِ الضعيفَ حتى يشتدّ قلبُه ، وينبَسِطَ لسانُه .
- وتَعَهّدِ الغريبَ ، فإنك إن لم تتعَهَّدْه ترك حَقَّه ، ورجع إلى أهله ! وإنما ضيّعَ حَقّه مَن لَّم يرفق به !

● وآسِ بين الناسِ فى لحظك وطرفك[1] .

● وعليك بالصُّلح بين الناس ، ما لم يَسْتَبِن لك فصلُ القضاء » .

إن آفة الحكمِ تتمثلُ فى الموقف من الضعيف والغريب ، وقد كان عمر ـ رضى الله عنه ـ يعرف أن ناساً تضيع حقوقُهم بسبب الغربة والضعف .

وكان يدرك أن القضاة ينخدعون بزخرف القول ، وأن الضعيف قد يتلَجْلَجُ لسانُه ، فيضيع حقه .

وأن الغريب قد يتهيب الموقف ، فلا يكادُ يبين !

وهذه الكلمة العالية التى وجهها عمر إلى معاوية : « آسِ بين الناس فى لحظِك وطرْفك » تشهد بما كان يعرف عمر ـ رضى الله عنه ـ من أسرار النفوس !

وهكذا تلقى معاوية الدرس الأول فى الحكم على يد الخليفة العادل الذى لُقّب بالفاروق لمعنًى من معانى العدل فى القضاء ؛ فإن أمور الحكم لم تستقم له مصادفة واتفاقاً ، وإنما قام ملكه على العدل .

◄ عمر والمغيرة :

٢ ـ أما « المغيرة بن شعبة » فقد روى الطبرى فى تاريخه عن سعيد بن عمرو أن « عمر بن الخطاب » قال قبل أن يستعمل « المغيرة بن شعبة » على الكوفة[2] : « ما تقولون فى تولية رجل ضعيف مسلم ، أو رجل قوىّ مشدّد ؟! » .

فقال المغيرة : أما الضعيف المسلم ؛ فإن إسلامه لنفسه ، وضعفه عليك !

وأما القوى المشَدّدُ فإن شداده لنفسه ، وقوته للمسلمين .

قال عمر : « فإنَّا باعثوك يامغيرة »[3] .

فكان المغيرة عليها حتى مات عمر ـ رضى الله عنه ـ، وذلك نحواً من سنتين وزيادة .

فلما ودّعه عُمرَ للذهاب إلى الكوفة قال له : « يا مغيرة ، ليأمَنْك الأبرار ، ولْيَخفْكَ الفُجّار » .

---

(١) نظراتك إليهم .

(٢) تاريخ الطبرى : [٤/١٦٥] . (٣) أى : مُوَلّوك .

وهكذا كان عمر يصنع الولاة على عينه ، ويدربهم على يديه ، ويتعهدهم بالنصح ، ويتابع خطاهم ويتلقى أخبارهم ، ويعرف «خطّ سيرهم» .

عمر وعمرو بن العاص :

٣ ـ وتلقى «عمرو بن العاص» دروس الحكم على يد عمر ـ رضى الله عنه ـ

لقد سمع عُمَر أن خارجة بنَ حُذافة بنى غُرفة بمصر ـ والغُرفة لا تكون فى الدور الأول ـ فكتب إلى عمرو بن العاص : «سلام عليك ، أما بعد .. فإنه بلغنى أن خارجة بن حُذافة بنى غرفة أراد بها أن يطّلع على عورات جيرانه ، فإذا أتاك كتابى هذا فاهْدِمْها ، إن شاء الله . والسلام» .

وإذا كانت المدنيّة الحديثة تنكر ما أشار به عمر بن الخطاب باسم الحرية ، فكم كانت نوافذ الغرفات باباً من الشر ، ومثاراً للفتون !!

وعمر كان حريصاً هو وولاته على إغلاق أبواب الشر ، فبارك الله فيمن كان مفتاحاً للخير مِغْلاقاً للشر !

وإذا كان أمير المؤمنين «عمر» لم يعمّر طويلاً بعد فتح مصر ، فقد توفى صريعاً بخنجر أبى لؤلؤة (فى ذى الحجة سنة ٢٣ هـ ـ ٦٤٤) . أى : لثلاثة أعوام فقط من الفتح ـ فإنه اختصّ مصر بعنايته فى تلك الفترة القصيرة من حكمه ، وكان دائم الاهتمام بشئونها ، وتنظيم إدارتها ، وعهد بولايتها إلى فاتحها «عمرو بن العاص» ، فكان أول ولاتها من المسلمين ، وقامت الفسطاط أول عاصمة إسلامية فى مصر عقب الفتح مباشرة .

وأبدى عمرو فى تنظيم الإدارة الجديدة براعة فائقة ، واتبع نحو الرعايا الجدد سياسة الرفق المقرون بالحزم ، وأحصيت موارد مصر وثرواتها بدقة ، وفرضت على شعبها الجزية ، وكان فرضها عقب الفتح بطريق الصلح على أن يدفع كل رجل جزية قدرها ديناران .

وإن المساجلات والمكاتبات التى وقعت بين أمير المؤمنين عمر ، وعمرو بن العاص فى تلك الفترة القصيرة لتدل على ما كانت تتمتع به الخلافة فى عهد عمر من طابع ديمقراطى عميق تدعمه سُلْطة حازمة !

فعندما طال حصار الاسكندرية مثلاً كتب عمر إلى عمرو ما يأتى : «... أما بعد .. فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر !! إنكم تقاتلون منذ سنتين ، وماذاك إلا لما أحدثتم ، وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ! وإن الله ـ تبارك وتعالى ـ لا ينصر قوماً إلا بصدق نِيّاتِهم» .

ولما أبطأ «عمرو» فى تقديم خراج مصر فى الموعد المحدد ، كتب إليه عُمر يعزّره ، ويؤنّبه ، ويقول : «أما بعد .. فقد عجبت من كثرة كتبى إليك فى إبطائك بالخراج ، وكتابك إلىّ ببُنَيّات الطرق[1]. وقد علمت أنى لست أرضى منك إلا بالحق البيّن .

ولم أُقْدِمك إلى مصر أجعلها لك طُعمة ، ولا لقومك ، ولكنى وجهتك لِمَا رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك ، فإذا أتاك كتابى هذا ، فاحمل الخراج ؛ فإنما هو فىء المسلمين» .

فكتب إليه «عمرو» : «... أما بعد .. فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ، ويزعم أنى أحيد عن الحق ، وأنكب عن الطريق ! وإنى ـ والله ـ ما أرغب عن صالح ما تعلم ، ولكن استَنْظَرونى[2] إلى أن تُدْرَك غلتهُم ، فنظرت للمسلمين ، فكان الرفق بهم خيراً من أن يخرج بهم ، فيصيروا إلى بيع ما لا غنى عنه . والسلام» .

وهكذا كان عمر يعامل ولاته وعماله وعلى رأسهم عمرو بن العاص .

أليس الفاروق عمر هو الذى خطب يوماً فقال .

أيها الناس :

«إنى ـ والله ـ ما أرسل عُمّالاً إليكم (أى : وُلاة) ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم ، وسنتكم .

فمن فُعِل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلىّ ، فوالذى نفس عمر بيده لأُقِصنّه منه !» .

---

(١) بنيات الطرق : مفردها بُنيّة الطريق : وهى طريق صغير يتشعب من الجادّة .
(٢) طلبوا منى أن أنظِرهم إلى حين .

فوقف عمرو بن العاص ، وقال :

«ياأمير المؤمنين ، أرأيت إن كان رجل من أمراء المسلمين أدّبَ رعيتَه أئنك لَمُقتَصُّهُ منه ؟» .

فقال عمر : «إى والذى نفسُ عُمَر بيده ، إنى لَأُقِصَّنَّهُ منه !، وكيف لا أقصه منه ، وقد رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يُقِصّ من نفسه[1] ؟!» .

إن هذه الوثائق وأمثالها توضح روح الخلافة ـ فى عهد عمر ـ إنها روح ديمقراطى حازم ، وروح لا مركزية مستنيرة ، وقد كان «عمرو» والياً وعاملاً من عمال الخلافة ، ولكنه كان يتمتع بسلطة شبه مطلقة ، بيد أن عبقرية الخليفة الشاملة كانت ساهرة توجه بإشرافها الفَطِن سلطة الولاة إلى ما فيه خير الشعوب المحكومة ، وخير الخلافة الإسلامية .

وقد استفادت مصر ـ فيما بعد ـ من هذه القاعدة المستنيرة فى توزيع السلطات ، واستطاعت أن تتمتع فى ظل الخلافة بنوع من الحكم الذاتى ، وأن تحافظ على هذا الامتياز حتى قامت بها الدول الإسلامية المستقلة فيما بعد .

ولقد كانت عين عمر ـ رضى الله عنه ـ على ولاته ، وإليك ما دار بينه وبين عمرو بشأن إنصاف الرعية .. بشأن ابن الأكرَمَيْن الذى ضرب مصرياً !

(١) مسند أحمد الجزء الأول حديث رقم [٢٨٦] وفيه طول . وإسناده حسن .

◄ «معاوية ابن أبى سفيان كسرى العرب» .

[عمر بن الخطاب]

◄ «لو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج منها إلا بالمكر ؛ لخرج المغيرة من أبوابها كلها» .

[قبيصة بن جابر]

◄ (زياد بن أبيه) «لله درُّ هذا الغلام !! لو كان قرشياً لساق الناس بعصاه !!» .

[عمرو بن العاص]

▣ عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب ▣

كم كان عمر ـ رضى الله عنه ـ يود أن يستكمل الرقابة على الولاة والعمال بالسير فى البلاد ، فيقيم شهرين فى الشام ومصر والبحرين والكوفة والبصرة وغيرها ؛ فإنه ليعلم « أن للناس حوائج تقطع عنه ، أما هم فلا يصلون إليه ، وأما عمالهم فلا يرفعونها إليه » .

فإذا وصل إليه شيء من تلك الشكايات فإنه يحقق ثُمّ يكون الجزاء على شِرعة المساواة بين أكبر الرعية وأصغر الرعية ، فمن ضَرَب ضُرِب ، ومن غصب ردّ ما غصب ! ومن اعتدى قوبل بمثل اعتدائه ، وعليه زيادة التأديب وقد يأْخُذُ الوالىَ أحياناً بوِزر ولده أو ذوى قرابته إذا وقع فى نفسه أنهم يستطيلون على الناس بسلطان الولاية ، ولا ينهاهم الوالى المسئول عنها !!

جاء مصرى فشكا إليه واليها عمرو بن العاص ، وزعم أن الوالى أجرى الخيل ، فأقبلت فرس المصرى ، فحسبها محمد بن عمرو فرسه وصاح : «فرسى ورب الكعبة !» .

ثم اقتربت ، وعرفها صاحبها ، فغضب محمد بن عمرو ووثب على الرجل يضربه بالسوط ، ويقول له : خذها وأنا ابن الأكرمين .

وبلغ ذلك أباه فخشى أن يشكوَه المصرىُّ فحبسه زمناً ومازال محبوساً حتى أفلت ، وقدم إلى الخليفة لإبلاغ شكواه .

قال أنس بن مالك راوى القصة :

فوالله مازاد عمر على أن قال له : اجلس .. ثم مضت فترة إذا به فى خلالها قد استقدم عمراً وابنه من مصر فقدما ومثلا فى مجلس القصاص .

فنادى عمر : أين المصرى ؟ دونَك الدِّرّة فاضرب بها ابن الأكرمين .

«فضربه حتى أثخنه ، ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه !

وعمر يقول : اضرب ابن الأكرَمَيْن ؟

ثم قال :أَجِلْهَا[1] على صلعة عمرو ! فوالله ما ضربك ابنه إلا بفضل سلطانه !

قال المصرى فزعاً : ياأمير المؤمنين ، قد ضربت من ضربنى !! فقال عمر : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه !

والتفت إلى عمرو مغضباً يقول له تلك القولة الخالدة التى ما قالها حاكم قبله : أيا عمرو ! متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! » .

وهكذا كان عدل عمر فى الولاية والقضاء دستوراً للولاة على مر الأيام !

▣ استدعاءٌ ثانٍ ! ▣

ومن هذا القبيل فى متابعة الولاة ما ذكره المؤرخون من محاسبة عمر لولاته : بلغ عمر ـ رضى الله عنه ـ أن عمرو بن العاص عامله على مصر ، قد بدت عليه ، وعلى أهله أمارات الغنى ، واجتمع لديه متاع ، ورقيق[2] ، وآنية ، وحيوان لم تكن له عندما ولى مصر !

فاستقدمه ، وسأله فى ذلك ، فقال : «إنها ياأمير المؤمنين أثمان خيل تناتجت[3] ، وسهام[4] اجتمعت ، وثمرة اقتصاد طويل ...» .

فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ:

«انظر رأسَ مالك ، ورزقك فخذهما ، ورُدّ الباقى إلى بيت مال المسلمين» .

وهكذا كانت عين عُمَر ـ رضى الله عنه ـ على وُلاته ، فكان علمه بمن نأى[5] منهم كعلمه بمن بات معه فى مهادٍ واحد ، وعلى وسادٍ واحد .

وهكذا تلقى عماله وولاته مبادىء الحكم السليم على يد عمر» .

◄ عمر وزياد :

ولم يكن اختيار عمر للدهاة الأربعة من فراغ ، وإنما كان بعد اختبار وابتلاء

---

(١) حركها وجُل بها .
(٢) عبيد .
(٣) توالدت .
(٤) أنصبة لى من الفتح .
(٥) نأى : بعد .

وإيمان بصلاحية كل منهم للقيادة .

ولا شك أن «زِياداً» كان من رجال الدولة العربية المعدودين من أهل السياسة .

وقال عنه المؤرخون والباحثون : إنه أخذ عن ـ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مبدأ القوة فى غير عنف ، واللين فى غير ضعف ! وإن كان قد اضطرته الظروف القاسية التى مر بها إلى تجاوزات أُخِذَت عليه ! حتى وصفه بعضهم بالطاغية !

لكنه على كل حال كان رائداً من رجال الإدارة الذين نقلوا الدولة العربية من الحال التى طرأت عليها فى نهاية عهد الخلافة الرشيدة وأعطوها طابع الاستقرار والنظام .

فكيف تدرج زياد فى وظائف الإدارة ، وكيف تألق نجمه ؟!

يقول التاريخ : لما كانت سنة ١٤ للهجرة ، ووجه عمر «عتبة بن غزوان» إلى «الأُبُلَّة»[1] وجنوبى العراق ، ليكون رِدْءاً لـ «سعد بن أبى وقاص» ، كان الفتى «زياد» فيمن انتدب للخروج معه ، وكان هو الذى يقسّم لهم الغنائم ، ثم ولى لسعد ديوانه ، فكان هو الذى يكتب الناس ويدونهم .

مهمة جديدة :

فلما فتحت« جَلُولَاء »سنة ١٦ هـ بعث سعد بأخماس الغنائم إلى «عمر» ، وبعث بالحساب مع «زياد» ، وكلفه استئذان الخليفة فى الانسياح فى أرض فارس .

فلما قدم الوفد المدينة كلم «زيادٌ» عُمَر فيما جاء له ، وأُعجب الخليفة بذكاء الفتى الناشىء ، وفصاحة لسانه ، وقوة جَنانه ، وأحب أن يزيد من اختباره ، فسأله :

« هل تستطيع أن تقوم فى الناس بمثل الذى كلمتنى به » ؟!

---

(١) بلد قرب البصرة .

فأجاب الفتى : « **والله ما على وجه الأرض رجل أهيب فى صدرى منك ، فكيف لا أقوى على هذا مع غيرك ؟!** » .

فلما كان الغد ، قام فى الناس فتكلم بما أصابوا من الغنائم ، وبما صنعوا ، وبما يستأذنون فيه من الانسياح فى بلاد فارس ، فازداد عمر إعجاباً به وقال : « هذا الخطيب المِصْقَع ! » .

ولم يكن الإعجاب مقصوراً على عمر ، بل لقد أعجب بزياد كل من سمعه يومئذ من أكابر الصحابة حتى قال عمرو بن العاص : « **لو كان هذا الفتى من قريش لساق العرب بعصاه** ! » .

ويقال : إن «أبا سفيان» همس فى أذنه بقوله : إنه هو أبوه حقاً ، ثم عاد «زياد» بعد ذلك إلى العراق . فلما مُصِّرت البصرة سنة ١٦ هـ نزلها «زياد» فيمن نزلها من ثقيف ، واتخذها مقراً مدى حياته بوجه عام .

يد لا تنسى !

ولما ولى عمر «المغيرة بن شعبة» على البصرة سنة ١٦ هـ ، ورُمِىَ المغيرة بما رُمِىَ به ، وهمّ عمر برجمه ، لم يُنْجه من الهلاك إلا شهادة شهدها «زياد» ، ولم يقطع فيها ، فكانت تلك الشهادة سبباً فى دَرْءِ الحَدّ عنه .

وقد حفظ «المغيرة» لزياد تلك اليد مدى حياته ، وانعقدت بينهما أواصر المودة والصداقة !

قدومٌ مبارك :

ولما طعن أهل البصرة على أميرهم «أبى موسى الأشعرى» سنة ٢٣ هـ محتجين بأنه فوض أمر البصرة إلى «زياد» ، وهو بعدُ فتًى حَدَث ليست له سِنٌّ ولا تَجْرِبة !

فرد عليهم أبو موسى بقوله : إنى وجدت له نُبْلاً ورأياً ، فأسندت إليه عملى .

وقد قبل عمر ـ رضى الله عنه ـ قول «أبى موسى» متأثراً لا شك بالصورة

---

(١) المِصْقَع : البليغ الذى يغنن فى مذاهب القول .

التى أخذها عن «زياد» يوم قدومه عليه من قِبَل سعد بأخماس الغنائم .

ولكن عمر ـ رضى الله عنه ـ أحب أن يتحقق بنفسه إلام صار ذلك الشاب فى مدى سبع سنوات ؟!

فأمر « أبا موسى » أن يُشْخِص إليه «زياداً» ، وقدم زياد على عمر قدمته الثانية ، وقام بباب عمر !

فلما خرج عمر وجد شاباً حسن الهيئة ، له ذؤابة ، وعليه ثياب بيض من كَتّان ، فابتدره بقوله : ما هذه الثياب ؟ فأخبره زياد .

فقال : كم ثمنُها ، فأخبره زياد بشيء يسير ، وصدقه عمر . ثم قال له : كم عطاؤك ؟

قال : ألفان . قال : ما صنعت فى أول عطاء خرج لك ؟

قال : اشتريت والدتى[1] فأعتقتها ، واشتريت بالثانى ربيبى عبيد[2] فأعتقته .

قال الخليفة : وُفّقت !

ثم اختبر «عمر» قدرته على الكتابة ، فأمره أن يكتب فى معنى واحد ثلاثة كتب مختلفة العبارة ، فكتب زياد ثلاثة كتب بليغة أعجب بها عمر .

ثم سأله عن الفرائض والسنن ، والقرآن فوجده فقيهاً ، فرده إلى «البصرة» ، وأمر أمراءها أن يسيروا برأيه !

وهكذا لم تخب فراسة عمر فى ذلك الشاب منذ رآه عند قدومه عليه بأخماس «جلولاء» لسبع سنوات خلت .

ولم تزده الأيام إلا ثقة به واطمئناناً إليه ، كما أن هاتين القَدْمَتَين غرستا فى قلب زياد إكباراً وتجلة لذلك الخليفة ، جعلته يرى فيه مثله الأعلى الذى يتأثره ويقتدى به .

◄ استخلاف زياد على البصرة !

ولما توجه والى البصرة عبد الله بن عامر من قِبَل عثمان ـ إلى خُراسان غازياً

---

(١) والدته : سمية .

(٢) زوج سمية ومن رباه فى حجره .

«سنة ٣١» استخلف زياداً على البصرة فقام بأمرها فى غيبته خير قيام على الرغم من ثقل المسئولية وتبعاتها فى ذلك الوقت .

وإذا كان «زيادٌ» قد اعتزل الفتنة واستخفى فى بعض دور «البصرة» إلا أن علياً ولاه خراج «البصرة» ، وأصبح من أشد العمال ولاءً له حتى قتل على فأصبح وجهاً لوجه أمام معاوية ، وهنا استماله معاوية وألحقه بنسب أبى سفيان ، فكان من ولائه لمعاوية ما كان !!

وتبقى « كلمة لابد منها » قبل أن نبدأ المسيرة مع « الدهاة الأربعة » واحداً بعد الآخر ..

فتعال نتفق على ما تضمنته تلك الكلمة من مبادىء تستريح لها نفس المسلم ويطمئن قلبه ، ويعف لسانه !

▣ كلمة لابد منها !! ▣

نعم .. هذه كلمة لابد منها قبل أن نواصل المسيرة ونشهد الصراع على الساحة فلا يكاد يخامرنا ـ نحن المسلمين ـ شك فى أن الخلفاء الراشدين قاموا بخلافة النبوة على أكمل وجه أمكن !

وإذا لاحظنا اليوم أنه وقع من بعضهم شيء فهو منهم محض اجتهاد .

والمجتهد يُصيب ويُخطيء ، والسياسة صعبة المراس على كل الناس ، وما كان للبشر أن تجيء أعمالهم تامّةً من كل وجه !

ومن المؤلم أن يستغلّ هذه الحوادث المُرْمِضَة[1] فى سبيل الخلافة أناس عزّ عليهم أن يُقوّضَ العرب ـ بالإسلام ـ عرش ملوكهم وهم الفرس ، فيندسون فى الغمار ، ويتخذون من آل البيت تُكأة ، ويزعمون لعلى ـ رضى الله عنه ـ أنه بُغى عليه منذ أول يوم ، ويدعون له العصمة على نحو ما كان أجدادهم يدعونها لملوكهم من المجوس ، وأن يكون من عبد الله بن سبأ وأمثاله ممن تظاهروا بالإسلام ما كان من الدعاية لتأليب الناس على عثمان ، وكان من أثر دعايتهم تمزيق الأمة طرائق قِدَداً ؛ وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد طهر من هذه الفتنة سيوفنا أفلا نطهر منها ألسنتنا ؟! . إنّ من يقرأ منهاج السنة للإمام ابن تيمية يجد كلمة حق تطِلّ علينا ونحن نستعيد الأحداث ونحلّق فى أجواء «الفتنة الكبرى» لتبرز مواطن الدهاء .. تُرى ماذا قال الإمام فى شأن على ومعاوية ؟!!

يقول الإمام ابن تيمية فى منهاج السنة :

تولى علىّ والفتنة قائمة ، وهو عند كثير منهم ملطخ بدم عثمان ، والله يعلم براءته مما نسب إليه الغالون فيه ، والمبغضون لغيره من الصحابة ، فإن «عليًّا» لم يُعِن علَى قتل «عثمان» ، ولا رضى به ؛ كما ثبت عنه ـ وهو الصادق ـ أنه قال ذلك ، فلم تصْفُ له قلوب كثير منهم ، ولا أمكنه هو قهرهم حتى يطيعوه ، ولا اقتضى رأيه أن يكف عن القتال ، وظن أن به تحصل الطاعة والجماعة ، فما زاد الأمر إلا شدة ، وجانبه إلا ضعفاً ، وجانب من حاربه إلا قوة ، والأمة إلا

(١) الموجعة المحرقة !

افتراقاً ، حتى كان فى آخر أمره يطلب هو أن يكف عنه من قاتله ، كما كان فى الأول يُطلب منه الكف .

وضعفت «الخلافة» ضعفاً أوجبت أن تصير «ملكاً» ، فأقامها معاوية ملكاً برحمة وحلم .

ولم يتولّ أحدٌ من الملوك خيراً من «معاوية» ؛ فهو خير ملوك الإسلام ، وسيرته خير من سلوك الملوك بعده .

فتعال بعد هذا إلى معاوية لنقف على شيء من دهائه ، وفى أذهاننا كلمات الإمام ابن تيمية . تصاحبنا فى مسيرتنا مع الدهاة الأربعة أنى اتجهنا .